اثبات الروح بالمباحث النفسية

ان البت في مسألة الروح الانسانية بالوجود او عدم الوجود والحكم لها بالخلود او عدم الخلود من الامور التي يبتنى عليها وخصوصاً في هذا العصر عصر المبادىء والاصول انقلابات فكرية غاية في الخطورة يكون لها اكبر الاثر في اخلاق الانسان وشمائله . وقد عهدنا الانسان يحيا بمحصوله الادبي اكثر مما يحيا بمحصوله المادي . وهذا العالم الغربي الذي نال من المدنية والرقاهية بفتوحات العلوم الطبيعية اوفر حظ وبعد ان زعزع لهُ العلم المادي والنقد الفلسفي اقوى اصوله الدينية الموروثة منذ عدة اجيال نراهُ يضطرب بمجموعهِ ويتململ سأماً مما هو فيهِ ويتلفت تلفت الحيران لكل حركة يتنسم من ورائها نسمة عقيدة يثلج عليها صدرهُ وتزول بها شكوكه ويبصر بها الحق واضحاً فيتجه اليهِ

وقد اجبتم على سؤال من سألكم عن منتهى آمالنا في التمدن في جزء يناير الماضي صحيفة ٩٢ بقولكم « ان يعيش كل احد مستريحاً مسروراً لا يتألم ولا يمرض ولا يجوع ولا يتعب . وان يعرف ما وراء الموت معرفة يقينية كما يعرف ان الماء يطفىء النار والحبر يسود الاصابع والحرارة تذيب الثلج . ثم قلتم : ومن المحتمل ان يصل الناس اليها بطريقة يقينية تقنع كل احد »

اصبتم في هذا القول كل الاصابة فليس الانسان بالكائن الذي يقنعهُ نعيم الجسد دون الوصول الى سر حياتهِ الروحانية ولولا ذلك لقنع العالم الغربي بما هو فيهِ من الرفه ولم يحرك للمباحث الروحية ساكناً . وانت تراهُ اشد اجناس المسكونة تطلعاً لاسرار الروح وقد فاق في هذا النهم المتدينين انفسهم

ما توسط الناس القرن التاسع عشر حتى كانت العلوم المادية في اوج عظمتها والمذاهب الفلسفية في غاية ابهتها ونبغ موظوت وكارل فوغت ولدويج بوخنر وهيكل في المانيا فاعطوا الفلسفة المادية نهاية سلطانها فكسفت كل فلسفة في الارض واعتبرت اشياعها من حملة الاوهام الفكرية القديمة . ثم جاء مذهب النشوء والارتقاء في سنة ١٨٥٩ بفلسفتهِ التي مؤداها قيام العالم على نظام آلي غير مقود الى غاية معينة بعقل مدبر فاعطى الفلسفة المادية سطوة اخفتت اصوات كل صوت . فكان الذي يقول بوجود عقل عام مدبر للكون او روح مستقلة عن جسد

الانسان يعد من البله الذين يستوجبون الرحمة على قصور نظرهم وانحطاط عقلهم في هذا الحين الذي بلغ فيه النشاط المادي هذا المبلغ حدثت حادثة هيدسفيل التي ذكرناها في مقدمة المقالة الاولى من بحثنا هذا. وكان من امر تحقيقها وشيوع امرها وتتالي مباحث العلماء في اثنائها ما كان اثره ايجاد ادلة علمية حسية على وجود عالم حي حياة عقلية سامية وراء هذه المادة وعلى ان الموت ليس هو الحد الفاصل بين الوجود والعدم. ولم تتقرر تلك الادلة لا في سنة ولا في عشرين ولم يقم بها عالم ولا جماعة واحدة من العلماء ولم تقتصر على بلد دون بلد بل تقررت في اكثر من سبعين سنة بذلت في الابحاث والمشاهدات والمجادلات والتحديات وقام بتحقيقها رجال من كل جيل من مجالات العلم والادب وانتشرت في كل امة راقية وكانت ثمرة ذلك ان اكبر علماء الارض واحكم فلاسفتها واجل كتابها وسياسييها وادبائها ينشرون آراءهم في الروح ووجودها وخلودها ويسردون تجاربهم العلمية في ذلك غير خاشين لومة لائم بعد ان كان يخجل اكبر رأس فيهم قبل خمسين سنة ان يشير الى عقيدته الدينية بكلمة واحدة

هذه حركة لا مثيل لها في تاريخ العالم وقد كان من اثرها اعتدال مزاج الفلسفة وصدق النظر في الوجود وظواهره. وقد كتبت فيه مقالين في المقتطف فعقبتم عليهما بما يفيد عدم اعتدادكم بما ورد فيهما ولكن ارى انكم مع هذا لا تضنون على قرائكم ببعض ما يظهر في عالم المباحث النفسية من الاقوال المنسوبة لبعض العلماء وهي خطة مثلى حببت الي ان اقفي اليكم ببعض ما اعلمهُ في هذا الموضوع فاني قرأت كل شبهة وردت عليهِ من الناقدين والمادين الذين تألبوا عليه دحضهِ بكل وسيلة وقرأت كل الحلول التي دُفعت بها تلك الشبه وهي حلول عملية لا كلامية مما يتألف منهُ مجموع من اجل ما ولدتهُ مجهودات البشرية في عصر من العصور. واري ان اكثر صورة موجزة من هذا المجموع في المقتطف مما يخدم قراء العربية اجل خدمة. ولهذا عولت على ان اوافيكم اولاً بملاحظاتي على تعليقكم ثم اردفهُ بالتجارب التي صمت والشبهات التي وردت عليها وبما دُحضت بهِ الشبهات فاقول:

قلتم ان بحثكم المتواصل في هذا الموضوع منذ اكثر من اربعين سنة اقنعكم بان الذين ينقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفية يكونون في الغالب من ابعد الناس واقلهم مقدرة على اكتشاف الخداع

وانا لا اوافقكم على هذا الرأي فان قوماً كالطبيعيين مرنوا على الاساليب الدقيقة واقتطعوا لمشاهدات المحسوسة وقصروا شهودهم على الآلات المعدنية والحواس البدنية لا يمكن ان يكونوا اقل الناس مقدرة على اكتشاف الخداع . ويؤيدني في ذلك مؤلفو الغرب فقد جاء فيما نقلتهُ عن مجلة المجلات الفرنسية في صحيفة ٥٤ من مقتطف يناير قولها : « من الصعب ان تتهم هؤلاء العلماء بالسذاجة فان دقتهم الشديدة في التجارب العلمية اشهر من ان تذكر »

وجاء فيما نقلتهُ بتلك الصحيفة عن الاستاذ شارل ريشيه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي قولهُ : « لا يمكن ان مثل هذا العدد العظيم من الرجال الممتازين في انجلترا وامريكا وفرنسا والمانيا وايطاليا يقعون تحت تأثير الانخداع الغليظ الثقيل »

ثم اني لم اسرد في المقتطف اسماء هذا الجم الغفير من العلماء الطبيعيين والفلاسفة الا لاني كنت اعتقد انكم مثلي لا تأبهون الا بشهادات رجال الطبيعة والفلسفة . ولو كنت اعلم انكم ترفعون على شهاداتهم شهادات من دونهم لأتيتكم باسماء الوف من الاطباء والمهندسين والكتاب والسياسيين واللغويين . ومما يؤثر عن المستر غلادستون انهُ كتب يقول : « ادرس الاسبرتزم فان وجدت فيهِ غشاً وتدليساً فاهزأ بسائر المعتقدين بهِ واسخر بي في مقدمتهم » (انظر كتاب الظاهرة الروحية لجبريل دولان في طبعتهِ الخامسة)

ومنهم اللورد بلفور ناظر الخارجية الانجليزية الحاضرة (كذا) وهو القائل « عندي الاسبرتزم افضل من السياسة لانها تفيدني اكثر منها » (انظر الكتاب المتقدم)

هذا ولو شئت ان اسرد من هذه الاسماء المشهورة لسردت شيئاً كثيراً فاذا كان المنقطعون للعلوم الطبيعية والفلسفة اكثر الناس قبولاً للانخداع فهناك الالوف من امثال من ذكرناهم يشهدون بانهم بذلوا غاية وسعهم لاثبات التدليس في التجارب فلم يستطيعوا ولم يستطع خصومهم ان يثبتوهُ لهم . والذين كشفوا تدليس الوسطاء الذين ذكرتموهم هم زعماء الروحيين . فقد قلتم ان اوسابيا بلادينو كشف غشها في كمبردج سنة ١٨٩٥ سدجوك وميرس والدكتور هدجسن وهؤلاء الثلاثة من كبار اعضاء جمعية المباحث النفسية والقائلين بانهُ قد قام الدليل الحسي على وجود الروح وخلودها بعد الموت

ولا عجب اذا حاول بعض الوسطاء التدليس على المجربين فان التدليس ليس

يقاصر من هذه المباحث فهو عام في جميع مجالات المجهودات الانسانية وانما انعجب ان يفت مدلس من بين اولئك النقدة الصارمين . على ان لجنة الجمعية العلمية الملكية التي عيفت في انجلترا لبحث المسائل النفسية لم تستخدم وسيطاً مأجوراً كما ذكرت ذلك في تقريرها ونشرته في مقتطف يناير صحيفة ٥٥ وكان لكثير من العلماء والكتاب الباحثين خاصة الوساطة مثل الاستاذ الطبيعي الانجليزي دو مورغان والمستر سنتون مورلس المدرس بجامعة اكسفورد والمستر ستد الكاتب الانجليزي الكبير وامرأة اكرأكوف الوزير الروسي المشهور وبنتا المستر ادمون رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة سابقاً وكان يعرضها للتجربة لشدة شغفه بالمباحث النفسية

قلنا ان التدليس ليس قاصراً على وسطاء المباحث النفسية فهو في كل مجال من مجالات الاعمال الانسانية وانما المدار على التمحيص والاخذ بالاحوط ولا نعرف فرعاً من فروع العلم سُرّي عليه ادق من اساليب التمحيص ما سري على المباحث النفسية لغرابتها من جهة ولغلبة المذهب المادي على الباحثين من جهة اخرى فلم يتوصل الا الى اثبات تدليس نحو مئة وسيط من سنة ١٨٥٠ الى اليوم اي في مدى سبعين سنة وهو عدد قليل بالنسبة لعدد الوسطاء الذين خضعوا لهذه المباحث الصارمة

ثم انكم قلتم ان العمل الذي تثبت به صحة المكتشفات والمراد هو العمل بها فاذا كانت مناجاة الارواح صحيحة اي اذا كان عقل الميت يؤثر فعلاً في الاحياء فيجادثهم ويخبرهم بامور يجهلونها فلا بد من ان يصير لهذا الاكتشاف فائدة عملية كأن يخبر القتيل عمن قتله وكأن يخبر من اخفى شيئاً قبل موته عن المكان الذي اخفاه فيه الخ

نقول ان تاريخ مناجاة الارواح مؤسس على ان روحاً اخبرت سكان البيت الذي ظهرت فيه بانها روح قتيل قتله جاره وسلب ماله فكان كما اخبرت . وقد اشرنا الى ذلك في ايرادنا لتاريخ هذا الفن في صحيفة ٥٠ من مقتطف يناير

ثم حدثت بعد هذه الحادثة ملايين من هذه الاختبارات وغيرها مما حير عقول الباحثين واضطر اكبر الماديين كوليم كروكس وروسل ولاس ولومبروزو وسدجوك وامثالهم للاذعان . فسئلت الارواح عن حجج ومستندات ضائعة فعينت مواطنها . وسئلت عن تفاصيل حوادث وفيات مجهولة ذنبأت بها . وسئلت عن مقادير ديون كانت عليها فقدرتها وعينت الدائنين وما لكل منهم بالتفصيل

واستخدمت في المخابرات بين امريكا واوربا في امور مهمة فتمت على عهد ايبا باكثر واضبط من التلغراف. وسئلت مسئلة فلكية عويصة فاعطت بامور لا تكتشف الا بعد سنين عديدة. كل هذه امور مقررة محققة كما يقول الاستاذ وليم جيمس اكثر من تمحيص الامور الفزيولوجية (انظر صحيفة ١٤١ من مقتطف فبراير)

وسنأتي في مقالاتنا التالية على غرائب من انواع هذه المشاهدات كلها مع بيان صنوف التحوطات والتحيسات التي اتخذها العلماء المجربون لها

ثم قلنا ان عدم ثبوت ذلك لا ينفي بقاء النفس بعد الموت ولا يثبت ان عقل الانسان من الوجود بعد موته ولكن يجب ان يكون لاثبات ذلك ادلة اخرى

وانا اقول ان عدم ثبوت ذلك ينفي بقاء النفس بعد الموت ويثبت اضمحلال عقل الانسان بعد وفاته ويقوي شبهات الماديين بل يجعل تلك الشبهات حجة مقررة. لانه كان يقال بحق: لو كان للروح بقاء بعد الموت لدلتنا بدليل حسي على بقائها هنالك. والا فهل يعقل ان تكون ارواح ملايين الملايين من الامهات والآباء والاحباء حية في عالم وراء هذا العالم فتلبث الوف السنين لا تبدي اقل حركة تشعر بوجودها وتنم على بقائها. وكان المادي اذ ذاك يرفع عقيرته قائلاً: اذا كان الانسان في بحثه عن المجاهيل الطبيعية قد وقف على اسرار النواميس المبثة وخواص الحركات الاثيرية الخفية كالكهرباء والمغناطيس واشعة رونتجن وهي من العالم الجامد المجرد عن العقل والشعور ألا كان يقف على رسوم ذلك العالم الحي الآهل بملايين الملايين من العلماء والفلاسفة والقادة والمقودين؟ ألا كانوا يبدون لنا ولو اشارة خفية تدل على وجودهم وراء هذا الوجود؟ أليس في صمتهم ذلك حجة ناطقة على انهم اصبحوا رميماً تذروه الرياح كما تذرو بقايا الاشجار ونتات الاحجار

نعم كان المادي يستطيع ان يقول ذلك وله الحق وكان المتدين يحني رأسه خجلاً وله العذر. فشيوع امر الاتصال بالاموات من اول وجود الانسان الى اليوم وذيوع ظهور اشباحهم في بعض الاحيان في كل امة حتى وجد ذلك في اساطير المصريين القدماء والهنود والصينيين ووجد معهم طرق تحضير الارواح منذ الوف من السنين ثم ظهور هذا الامر أتم ظهور في هذا العصر والعمل على تحقيقه تحقيقاً علمياً على الاساليب النقدية العصرية — كل هذا أثر واضح على

صحة وجود ذلك العالم وعلى صدق العقيدة العامة بخلود الارواح بعد الموت . وعدم وجود هذا الاثر الواضح كان يصح ان يكون من الادلة السلبية القوية على عدم وجود ذلك العالم

ثم ان استشهادكم بقول الامام الغزالي « ان ضرر الشيء ممن ينصره لا بطريقه اكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه » لا ينطبق على ما نحن بصدده . فان الطريق الذي يسلكه العلماء الاوربيون والامريكيون في تحقيق وجود الروح هو الطريق الاصلي لاثباتها بل لا يوجد غيره . فهم يبحثون في امر ظهور الارواح في اماكن قيل انها تتردد عليها كبعض البيوت والقصور القديمة . وفي تأثيرها على ادمغة بعض الاحياء بالاستيلاء عليها واظهار شخصيات غير شخصياتها وعلى ايديهم في احداث خطوط غير خطوطهم والتوقيع عليها بتوقيعات المتوفين انفسهم — كل هذا لم يقنع الباحثين وكان لهم في تأويله مجال واسع . لانهم كلهم كانوا ماديين لا يعتقدون بشيء . فطلبوا الى اولئك الارواح ان كانت موجودة ان تكتب بدون يد الوسيط وان تتكلم لا بلسانه فحدث ما طلبوا وظهرت اذرع وايد لمسها المجربون وصافحوها ثم ظهرت اجساد قاسوها ووزنوها وخصوها بكل وسيلة ممكنة وطلبوا اليها احداث الخوارق التي يتخيل انها لائقة بعالم الارواح السائد على العالم الجسمي كادخال المادة من خلال المادة وفي تغيير صياغة المعادن كأن تقلب السلاسل الذهبية الى خواتم وفي تمزيق الثياب واعادتها كما كانت وفي ظهورها باظاهر مختلفة وفي اخفائها لصف جسم الوسيط او جسمه كلة ثم اعادته وفي رفع الاجسام بدون لمسها الى السقف حتى انها رفعت بعض الحاضرين ايضاً . وفي جلب الاشياء من بلاد بعيدة . وفي الاخبار عن الامور المقبلة الى غير ذلك مما سنتكلم ببعضه في مقالاتنا المقبلة. كل هذا بينما يكون الوسيط مربوطاً وموضوعاً تحت قفص من الحديد ومتصلاً بسلك من الجلفانومتر لتسجيل اقل حركاته وسكناته ومراقباً اشد مراقبة وهو في حالة خدر تام لا يعي ما يحدث بخلاف المشعوذين الذين ذكرتم بعض اعمالهم في مقالة السحر الحلال فانهم يذهلون ويجيئون مطلق الايدي والارادة . فان يكن هذا هو طريق اثبات وجود عالم روحاني مؤثر في هذا العالم المادي فهل طريقة القياس المنطقي والاستنتاج العقلي وقد برهنت الفلسفة المادية الحسية بانف دليل على ضلال العقل وعجزه عن الاتيان

بالحقائق وعلى ان مسلماتها اكثرها اضاليل قررها لهُ تصورهُ وايدها في نظرهِ جهلهُ

ثم قلتم في مقالة السحر الحلال : رأى جماعة من اكبر علماء الارض اعمال الخادعة اوسابيا بلادينو فصدقوا ما تدعيهِ من انها تفعل ما تفعل بواسطة ارواح الموتى ويذهب هؤلاء العلماء انفسهم الى ناد لاحد المشعوذين ويرون من اعمالهِ ما تقصر عنهُ اعمال اوسابيا بلادينو بمراحل كثيرة ومع ذلك لا يقولون انهُ يفعل ما يفعل بقوة روحية لانهُ هو نفسهُ لا يدعي هذه الدعوى

اقول علماء اوربا لم يفتهم امر المشعوذين فقد اعترض عليهم بمثل ما قلتم فاحضروا مشعوذ امبراطور المانيا ومشعوذ امبراطور النمسا وهما اوسع مشعوذي العالم حيلاً في جلسة روحية واروها بعض الخوارق التي تحدث فيها فاعترفوا بان هذا فوق مقدور صناعتهم وشهدوا بذلك كتابة وسننشر نص شهاداتهم في مقالاتنا المقبلة هنا

اما كون ما يفعلهُ المشعوذون اغرب مما يحصل في جلسات التحضير فلا نقول نحن بهِ ولا الوف المجربين فان الخوارق الروحية قد فاقت ما يتخيلهُ كل متخيل واي غريب بعد ظهور روح الميت متجسدة بصورتها التي كانت عليها في الحياة الدنيا وتكلمها بصوتها الاصلي وعباراتها المألوفة لديها ؟ واي عجيب بعد اقتنائها لبعض اعضاء الوسيط او الجسم كلهُ ثم اعادتها اياهُ او قلبها صورة الوسيط وجنسهُ فيظهر وجههُ ملتحياً وهي امرأة او شعرهُ اصفر وكان اسود او يظهر طفلة ناضجة وهو كهل ويطول قدهُ ويغلظ جسمهُ ثم يعود الى ما كان عليهِ . كل ذلك حصل تحت اشد المراقبات العلمية واعيدت تجاربهُ في كل بلد وفي مدى اكثر من سبعين سنة مما لا سبيل الى دحضهِ بعد كشفهِ ووقوف الناس على اسانيدهِ . والا فكيف يعقل ان اكبر علماء الارض واذكى الاطباء والمهندسين والمحامين والكتاب والادباء الاوربيين والاميركيين ينخدعون هذا الانخداع الغليظ وقد سبقونا في العلم والعمل وانتشكك بمراحل وتشبعوا بالمذهب المادي منذ عدة قرون ويستمرون في هذا الانخداع اكثر من سبعين عاماً ؟

كل هذا لا يقبل التعليل بالخداع والانخداع فلا مناص للقراء العربية من التوسع في معرفة هذا الموضوع وسأتولى بمعونة الله هذا الامر فانشرهُ في هذه المجلة في عدة مقالات متسلسلة من الجزء القادم ثم اترك لكل انسان الخيار في الحكم والسلام

محمد فريد وجدي